قراءة في بعض المتغيرات المساهمة في عمالة الأطفال وانعكاساتها على صحتهم

فتيحة كركوش[1,*] حسينة يحياوي[2]
جامعة لونيسي علي، البليدة2(الجزائر) جامعة مولود معمري، تيزي وزو(الجزائر)

A reading of some variables contributing to child labor and its implications on their health

Fatiha Kerkouche [1],* **Hassina Yahiaoui [2]**
Univ- Lounici Ali, Blida 2, (Algeria) Univ- Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, (Algeria)
f.kerkouche@gmail.com belhocinehassina@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/25؛ تاريخ القبول: 2020/04/05؛ تاريخ النشر: 2023/02/28

ملخص. في عالم يصبو إلى تحقيق الرفاهية والتنمية المستدامة، ما يزال الطفل يعاني من عمالة مُبكرة تثقل كاهله وتضعه أمام مسؤوليات وتحديات قبل الأوان، وذلك بالرغم من عديد الاتفاقيات الدولية والمراسيم والقوانين المُسطرة من أجل حماية الطفولة من كل أنواع الانتهاكات والتجاوزات. في مضمون هذه الفكرة، نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تقديم قراءة في بعض المتغيرات المُساهمة في عمالة الأطفال وتأثيرات مثل هذه الممارسة على صحة الطفل من مختلف المناحي من خلال:
-عرض جملة من العوامل التي تدفع بفئة من الأطفال إلى العمل المبكر،
-إلقاء الضوء على التهديدات والمخاطر الناجمة عن عمالة الأطفال.
الكلمات المفتاحية. عمالة الأطفال؛ الانعكاسات؛ الصحة.

Abstract. In a world that aspires to prosperity and sustainable development, the child is still suffering from early employment, which is tiring and puts him in front of responsibilities and challenges prematurely, despite many international conventions, decrees and laws that are in place to protect children from all kinds of violations and abuses. In the content of this idea, we seek through this studying to provide reading in some variables contributing to child labor and the effects of such practice on the health of children from different aspects through:
- Presenting a range of factors that push a group of children to early work,
-Highlight the dangers and risks of child labor.
Keywords: Child labor; reflections; the health

***corresponding author**

1. مقدمة

تسعى المجتمعات الإنسانية لتحقيق سعادتها وتطورها من خلال اهتمامها بالإنسان والاستثمار فيه وترقيته في كافة المجالات الحياتية والتنموية، ولعل الطفولة هي من المؤشرات الدالة على حجم هذا السعي لأنها تمثل رأس مال الأمم التي تعتمد عليها في مسار التنمية ومسيرة البناء، إذ اعتبر الشافعي (1981) الطفولة أنها تُشّكل شريحة واسعة من شرائح المجتمع لأنها تُمثل الجيل المقبل، لذلك فان جميع الجهود التي تبذل من أجلها من متطلبات التغير الاجتماعي المدروس، تصب في سياق التنمية الشاملة التي تكون الطفولة فيها جزءا لا يتجزأ منه (الشافعي، 1981).

إلا أن هذا المبتغى كثيرا ما يلاقي معيقات تحول دون تجسيده على أرض الواقع بسبب تأثيرات مختلفة وضغوطات حياتية كثيرة، بحيث أننا نجد فئات من الأطفال في الكثير من الحقبات التاريخية وفي مختلف المجتمعات سواء منها المتخلفة وكذا المتقدمة فريسة لانتهاكات جسدية وجنسية ونفسية وعرضة لمختلف أشكال المعاملات السالبة لحقوقها، ولعل من بينها "عمالة الأطفال".

في هذا السياق أشارت كاظم (2007) إلى أنه من المفارقات اللافتة للنظر، أن قضية عمل الأطفال التي احتلت موقع الصدارة في اهتمامات الفكر الإنساني منذ مطلع القرن التاسع عشر لا تزال تحتل المكان ذاته من اهتمامات هذا الفكر، مع إطلالة القرن الحادي والعشرين، وهذه المفارقة تدفع الباحثين إلى التساؤل عما إذا كانت مثل هذه القضية عصية على الحل أو أن القضية ليست كذلك، وإنما كان الإخفاق نصيب الحلول التي اقترحت لها(2007 :152).

في ذات الإطار، تمثل عمالة الأطفال صورة من صور التجاوزات التي تعيشها الطفولة في الوقت الذي هي بحاجة إلى من يرعاها ويأخذ بيدها إلى بر الأمان، بل أن مثل هذه الممارسة أخذت مناحي وأشكال متنوعة؛ وهو الأمر الذي يستوقفنا من خلال بلورتنا لجملة من الأهداف في طرحنا لهذه الدراسة، والتي يمكننا بلورتها على النحو الأتي:

- البحث في تشخيص الأسباب الدافعة إلى عمالة الأطفال،
- البحث في نوع التهديدات ومختلف المخاطر التي يعيشها الطفل العامل.

2.الإطار العام للمشكلة:

قدّر المكتب العالمي للعمل (2002) عدد الأطفال العاملين في العالم بـ246 مليون طفل؛ أي ما يعادل طفل واحد مقابل كل ستة أطفال تتراوح أعمارهم من 5 إلى 17 سنة.وتمثل هذه التقديرات خطورة وتهديدا بالنسبة للطفولة بالرغم ما بُذل من مجهودات جبارة في حقها (المكتب العالمي للعمل، 2002).

فالمتتبع لمثل هذه المجهودات يلاحظ -دون عناء- محاولات الدول الكثيرة في أن تحد من وجود هذه الظاهرة ومن تبعاتها التي تحرم الأطفال من حقهم في النمو الطبيعي والسليم والآمن، حيث تحرمهم من التمتع بطفولتهم وتلبية حاجاتهم الضرورية وتنمية قدراتهم العقلية والبدنية والنفسية والجمالية، فتجعل منهم أطفالا حُكم عليهم بالإقصاء والتهميش من عالم الطفولة.

لذلك، اعتبر العطاونة (2002) "عمالة الأطفال" تعبيرا عن تقاطع ضغوط حادة فقدت فيها الأسرة شروط العيش لأطفالها، بحيث لم تشبع حاجاتهم الأساسية؛ فيفقدون كل مقومات النمو السليم في مجتمع اليوم؛ فهم محرومون من أبسط الحقوق ويعانون من أشكال مختلفة من الضياع والحرمان والاستغلال والعنف(العطاونة، 2002 :7).

على المستوى العربي، ذكر يوسف (2008) أن منظمة العمل العربية عُنيّت بعمل الأطفال من خلال ما أقرت من معايير عربية بشأنه في المواد (57-64) من كل من اتفاقيتي مستويات العمل رقم (1) لعام 1966 و(6) لعام 1976، ثم أفردت اتفاقية خاصة لعمل الأحداث برقم (18) أقرها مؤتمر العمل العربي في دورة انعقاده في عام 1996(يوسف، 2008: 48).

في نفس هذا المنحى، أشار كل من زوزو وبن عيسى (2016) إلى أن الجزائر صادقت بدورها على اتفاقيات دولية من شأنها تعزيز حقوق الطفل وحمايته وتحسين أوضاع الطفولة عامة، وتعزيز مكانة الطفل في المجتمع واقعا وقانونا، وحققت انجازات تشريعية مُهمة من خلال إصدار قوانين ومراسيم تُؤّمن مصلحة الطفل واعتبارا لضرورة إعطاء حماية خاصة له.

معنى ذلك أن الجزائر ليست بمنأى عن هذه الظاهرة التي عرفت نموا كبيرا خاصة مع العشرية السوداء التي عشناها بكل مرارتها وذلك بفعل اللاأمن الذي أدى إلى نزوح سكان القرى والأرياف إلى المدن، ولم يكن أمام أطفال تلك العائلات سوى الانخراط في أي ممارسات بما فيها ولوج عالم الشغل لأجل مواجهة مستجدات الحياة في المدينة وما يتضمنه ذلك من عمليات غير مألوفة بالنسبة إليهم.

من هذا الباب، نسعى إلى فهم قضية عمالة الأطفال من خلال بلورة الانشغالات الآتية:

- ما هي أهم العوامل التي تجعل الأطفال يلجُون عالم الشغل قبل أوانه؟،
- كيف يعيش الأطفال تأثيرات ذلك من الناحية الصحية خاصة منها النفسية والاجتماعية؟.

3. في ماهية مفهوم عمالة الأطفال:

أشار موسى (2009) إلى أن مفهوم "عمالة الأطفال" عرف استعمالاته الأولى مع بداية القرن التاسع عشر تحت تأثير الثورة الصناعية والانتشار الكبير لاستغلال الأطفال في المناجم والمصانع، وتحت تأثير التيارات النفسية وجملة من العلوم التي عكفت على دراسة الطفل ونموه (موسى، 2009: 117).

من جهتها، أوضحت سوالمية (2007) أن مانيي (Manier) استعمل مفهوم "Child Labor" وهو مصطلح يستعمله المختصون الناطقون باللغة الانجليزية الذي يعني العمل في ظروف صعبة وقاسية قد تصل إلى درجة **الاستغلال**؛ أي أنه مصطلح يتراوح من العمل الصعب إلى الاستغلال.وما يُميز هذا النوع من "Child Work" أنه يأتي في درجة أعلى منه من حيث الشدة (سوالمية، 2007 : 56).

وفي ذات المنحى يتجه أبو خوات (2005) إلى كون عمالة الأطفال تمثل "عملا استغلاليا يضر بصحة ونماء الطفل بدنيا ونفسيا واجتماعيا، ويحرم الأطفال من التعليم وفرص الحصول على الخدمات الأساسية الأخرى"(أبو خوات، 2005: 69).

وهو الأمر الذي أكده تقرير المركز الدولي لنماء الطفل (1994) مُعتبرا أن عمل الأطفال يتحول إلى "عمالة أطفال" عندما يعمل هؤلاء في سن صغيرة جدا، ويعملون لساعات طويلة مقابل أجور زهيدة أو بدون أجر، وفي ظروف خطرة أو في أوضاع شبيهة بالرق (المركز الدولي لنماء الطفل،1994).

هذا ما يتفق أيضا بما جاء به زوزو و بن عيسى(2016) معتبرا أن "عمالة الأطفال تتمثل في: "العمل الذي يؤدي إلى استغلال الطفل قبل بلوغ السن الذي حددته منظمة العمل الدولية والذي يُعرضه لظروف عمل لا تهتم بحقوقه التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والترفيهية، وتحرمه من تنمية قدراته ومن صيانة كرامته، وهو العمل الذي يضر بنموه البدني والعقلي والنفسي وسلوكه الأخلاقي والاجتماعي" (زوزو وبن عيسى، 2016: 54).

من جهتها، ركزت كاظم (2007) في تعريفها لمفهوم عمالة الأطفال بشكل أساسي على متغير **السن**، بحيث اعتبرت هؤلاء الأطفال"هم الذين يبدأون العمل في سن مبكرة، وبأعمال لا تتناسب مع أعمارهم ولا قدراتهم الجسدية والعقلية وانتهاك أبسط حقوقهم المتعلقة بالعلم والنماء والراحة نتيجة ظروفهم الاقتصادية الصعبة التي أجبرتهم على العمل لقاء أجور يومية أو أسبوعية" (كاظم، 2007: 154).

إلا أن أبو موسى (2009) ينظر إلى عمالة الأطفال من منظور آخر معتبرا "أنهم الأطفال الذين يعملون بموافقة أسرهم وبالاتفاق مع صاحب العمل سواء كان في ورشة أو محل أو مصنع أو دكان، والسبب في عملهم هو تحسين دخل الأسرة" (أبو موسى، 2009: 12).

في سياق هذه الفكرة، نجد أن فهمي (2001) قد أثرى ذلك بقوله: "أن فئة الأطفال العاملين تشمل فئة من الأطفال الذين يعملون في الشارع ولديهم القليل أو الكثير من **الارتباط** مع أسرهم ويعودون ليلا إلى منازلهم عند نهاية عملهم اليومي" (فهمي، 2001: 11).

والمقصود من وراء ذلك أنه في هذه الحالة تكون هناك موافقة من طرف الأولياء على "استعمال أبنائهم" في أعمال لا تنسجم مع قدراتهم الجسدية وذلك بغرض تلبية المتطلبات الأسرية.

ونجد من جهة أخرى أن عبد العظيم (2002) سلط الأضواء في تحديده لمفهوم عمالة الأطفال على **الغاية** من ممارسة العمل، معتبرا أنه: "مجموعة الأنشطة الهامشية التي لا ترتبط بالعملية الإنتاجية التي يمارسها الأطفال في الشوارع من أجل استمرار بقائهم أو بقاء أسرهم" (عبد العظيم، 2002: 59).

على هذا الأساس، نلاحظ من خلال مجموع هذه التعريفات المقدمة مدى تنوعها وتعددها بخصوص مهمة ضبطها للمفهوم: فتارة نجدها تركز على السن وتارة أخرى على نوع وطبيعة العمل وتارة أخرى على الدافع والهدف من ممارسة الطفل للعمل، إلا أن الفكرة الجوهرية التي اتفقت عليها هذه التعريفات تكمن في كون عمالة الأطفال هي ممارسة يقوم بها أطفال في سن يُفترض أنهم يتمتعون بطفولتهم بغض النظر عن السبب أو الهدف الذي دفع بهم إلى العمل.

4. السياق التحليلي:

نسعى لتحليل جملة الدوافع التي فرضت على الأطفال ممارسة العمل والتي في الواقع هي متنوعة ومُعقدة، منها ما يعود إلى عوامل أسرية ومنها ما يمكن رده إلى عوامل شخصية وعوامل أخرى ترتبط بالظروف الخارجية.

1.4.أسباب عمالة الأطفال:

قبل الشروع في تحديد هذه الأسباب، لابد من الإشارة إلى ما جاء به زوزو وبن عيسى (2016) بخصوص مجالات العمل التي تعددت وتنوعت بالنسبة لعمالة الأطفال بالجزائر بتعدد المهن وتنوعها، بحيث نجد الأطفال يشتغلون في الكثير من المهن، منها (زوزو وبن عيسى، 2016):

- العمل في القطاع الفلاحي خاصة بالنسبة لأطفال الأرياف،
- العمل في قطاع البناء كمساعدين للبنائين والكثير من المقاولين وبعض أصحاب شركات البناء يستغلون هذه العمالة كونها رخيصة ومتوفرة،
- ممارسة العمل في مجال الحرف (كالنجارة والحدادة والميكانيك...) وكذا بعض المهن الأخرى كبيع الجرائد والسجائر وبيع الخبز والخضار في أرصفة الطرقات وفي الأسواق.

4-1-1-الموقف الاجتماعي من تعليم الأطفال:

يرى يوسف (2008) أن الموقف الاجتماعي **السلبي** في عمومه من تعليم الأطفال في سن الدراسة يلعب دورا هاما في توجه الأطفال إلى سوق العمل بدلا من مقاعد الدراسة، ويزداد هذا الموقف الاجتماعي سلبية كلما ارتفعت الشرائح غير المتعلمة في مراتب سلم الدخل في المجتمع متفوقة في ذلك على الشرائح المتعلمة؛ ففي مثل هذه المجتمعات لا تجد الأسرة حرجا في عدم إرسال أطفالها في سن الدراسة إلى المدرسة؛ بل أنها تدفعهم إلى العمل المبكر (يوسف، 2008).

من جهتها، أشارت سوالمية (2007) إلى الفكرة التي صاغها ميلاسو (Meillassaux, 1975) والمنتشرة كممارسة عادية في بعض البلدان الأفريقية بخصوص امتلاك الأب حق عمل الابن ويقوم أفراد العائلة الواحدة بالتحكم في اقتصاد العائلة وتسييره، وذلك من خلال تعلم مهنة العائلة كوسيلة لكسب العيش والمحافظة على ارث الأجداد: تعليم مهن عائلية للأطفال (سوالمية، 2007).

4-2-1- الأوضاع الأسرية والاقتصادية:

اعتبرت ديبو (1999) الظروف الاقتصادية مُهمة في فهم مُسببات عمالة الأطفال، ومن بين أهم مؤشراتها الفقر والعوز وانتشار البطالة بين الآباء وانخفاض دخل الأسرة مما يدفعهم لسحب أطفالهم من المدرسة وزجهم في سوق العمل للمساهمة في زيادة دخل الأسرة (ديبو، 1999).

ففي دراسة أنجزها ميهاتا (Mehata, 1985) بمدينة بومباي بالهند خلصت إلى أن الفقر هو أهم الأسباب التي تدفع الأطفال في سن مبكرة إلى العمل الذي يُعتبر الدخل الرئيسي للأسرة والذي لا يمكن الاستغناء عنه (Mehata, 1985).

في هذا المنحى، توصلت دراسة المجلس الوطني لشؤون الأسرة (2007) إلى الكثير من النتائج لعل من بينها أن عمالة الأطفال تتناسب طرديا مع تردي الوضع **الاقتصادي** الأسري خاصة بوجود عدد أفراد الأسرة الكبير وغلاء المعيشة وازدياد الطلب على الحاجات الأساسية؛ وهو الأمر الذي يدفع بالأسرة إلى أن تضحي بطفل أو طفلين من خلال إرغامهم على ترك مقاعد الدراسة والاتجاه نحو العمل لإعالة الأسرة (المجلس الوطني لشؤون الأسرة، 2007).

وهي نفس النتيجة التي خلص إليها برنامج الأغذية العالمي (2007)، إذ توصلت نتائج البيانات النوعية والكمية إلى أن الفقر وانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي يعد أحد الأسباب الجذرية لانتشار عمل الأطفال خاصة مع عدم كفاية دخل الأسرة لتلبية احتياجاتها الأساسية (برنامج الأغذية العالمي، 2007).

من جهته، أضاف عباس (2001) فكرة أخرى مفادها أن بعض الأسر بسبب **أمية** الوالدين لا توفر الحافز المعنوي للطفل كي يقبل على التعليم، ومن ناحية أخرى فان ظروفها المادية تضغط عليها لتشغيل أطفالها، فالأسرة في الأوساط الفقيرة لا ترى أي جدوى من التضحية في سبيل تعليم أبنائها مادامت آفاق المستقبل غامضة ولا تبعث بالأمل (عباس، 2001) .

4-1-3-العوامل التعليمية:

خلصت المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم (2002) إلى نتائج تصب في كون مناهج وأساليب التعليم في الكثير من البلدان ذات مسؤولية مباشرة لتسرب الأطفال من المدارس واللجوء إلى العمل في سن مبكرة؛ فهي لا تعتمد الأساليب الحديثة التي تنسجم مع متطلبات سوق العمل، علاوة على أنها تعتمد أسلوب التلقين والحفظ المُملين الذين لا يستندان إلى تطوير الفكر والمعرفة (المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم، 2002).

في نفس مضمون الفكرة، أضاف أبو زايد (2010) –نقلا عن دراسة أيمن عباس سنة 1996- أن الأطفال العاملين لم يلتحقوا بالمدرسة أو تسربوا خلال فترة المرحلة الابتدائية بسبب عدم إدراك أهمية التعليم وصعوبة المواصلات وارتفاع مصاريف التعليم وكراهية الطفل للمدرسة الذي يعود إلى صعوبة المناهج الدراسية والرسوب المتكرر وشعور الأسرة بعدم جدوى التعليم وأهميته (أبو زيد، 2010).

وهو ما يتفق مع نتائج الدراسة قام بها عازر وآخرون (1991) بمصر تناولت عمالة الأطفال، حيث خلصت إلى انخفاض المستوى التعليمي والمهني للآباء، ووجود نسبة معتبرة من الأطفال لم يلتحقوا أصلا بالدراسة وأخرى متسربة.كما ارتكزت خبرة الطفل نحو المدرسة في الكراهية لها وضرب المدرسين والرسوب المتكرر وعدم الرغبة في التعليم. إضافة إلى أن نفقات التعليم مثلت عبئا ثقيلا على الأسرة دفع بالأطفال إلى العمل للمساعدة (عازر وآخرون، 1991).

وجاء عن الأمم المتحدة في برنامج الأغذية العالمي (2007) أن الموارد المالية للأسرة لا تغطي تكلفة تعليم أبنائها، إضافة إلى سوء المعاملة التي يتلقاها الطفل على يد بعض المعلمين بجانب انخفاض جودة التعليم وضعف رغبة الطفل في التعليم وعدم الاهتمام بواجباته المدرسية، وأحيانا لا يوفق في الجمع بين العمل والدراسة (برنامج الأغذية العالمي، 2007).

وحسب سوالمية (2007) فان دونو (Denot, 1993) أشارت إلى أن الأطفال لا يرغبون في التمدرس بسبب أن المدرسة لا تقدم تكوينا مهنيا؛ بل ذهبوا إلى أبعد من هذا معتبرين المدرسة عائقا يمنعهم من العمل وكسب الرزق، وأنها تكوّن الطفل لحياة أخرى بعيدة كل البعد عن الواقع الذي يعيشونه (سوالمية، 2007).

4-1-4-الرغبة في اللهو والانطلاق:

حسب ما ذكر أبو زايد (2010) فان الدراسة التي أنجزها أحمد زكي سنة 1992 توصلت إلى ارتباط المرحلة العمرية بالرغبة في اللهو والانطلاق، حيث يحقق العمل للطفل وخاصة في مجال نقل الركاب مثل هذه المتعة التي يبحث عنها، لذلك فان العمل يساعد الطفل على التخفيف من الضغوط النفسية الممارسة عليه في المدرسة.إضافة إلى ما يوفره له من الكسب المادي والرغبة في الإنفاق على نفسه والتخلص من السلطة الوالدية (أبو زيد، 2010).

ومعنى هذا أنه توجد عوامل مرتبطة بشخصية بعض الأطفال العاملين الذين تستهويهم المغامرة والرغبة في اكتشاف عالم مختلف عن المألوف.

4-2-مخاطر عمالة الأطفال:

عملت كاظم (2007) على تصنيف تأثيرات عمالة الأطفال على صحتهم حسب نوع وطبيعة الأعمال التي يمارسونها، بدءا من استغلال عمل الأطفال كخدم في المنازل وعمالة الأطفال في المناجم، ثم استغلالهم في الصناعة، ووصولا إلى استغلالهم في الزراعة أيضا.

كما أنه مما لاشك فيه أن لعمالة الأطفال تأثيرات على صحتهم وتطورهم السّوي بما في ذلك نموهم الجسدي والعقلي المعرفي وكذا العاطفي الوجداني؛ بل أن امتداداته الخطرة والمضّرة تمس مختلف النواحي الاجتماعية والأخلاقية بما يطورونه من مشاعر مُضادة للمجتمع تعمل على إضعاف مشاعر الانتماء لديهم وتزيد من نفورهم من الروابط الاجتماعية والتمسك بقيم وأعراف مجتمعهم.

لذلك، صرّحت منظمة العمل العربية (2013) أن عمالة الأطفال هي ظاهرة مُضرة جدا بنمو الأطفال الطبيعي والآمن، حيث تحرمهم من التمتع بطفولتهم ومن تلبية حاجاتهم الضرورية وتنمية قدراتهم العقلية والبدنية والنفسية، فتجعل منهم أطفالا في وضعية تهميش وانعزال (منظمة العمل العربية، 2013).

يُضاف إلى ذلك –حسب ما أشار إليه أبو زايد (2010)- أن الحروب واختلاف الأوضاع التي تتعرض لها بعض المجتمعات تعرض الأطفال للخروج من حياة الطفولة إلى حياة العمل بجميع أشكاله، ومواجهة المخاطر التي لم ينضجوا بعد لمواجهتها، فيتركون المدرسة ولا يحظون بالحد الأدنى من التعليم والرعاية المجتمعية ومن اكتساب القيم والعادات السليمة، فيصبحون بؤر خطورة على المجتمع لأنهم حرموا من التعليم والقدوة الحسنة والمثل الأعلى، وتعرضوا للحرمان والعنف الجسدي والفكري؛ فهم ناقمون على المجتمع ولا يبادلونه الحب لأنه مجتمع ظلمهم وسلبهم حريتهم وطفولتهم.

4-2-1-المخاطر الصحية:

حسب ما ذكر أبو زايد (2010) فان الدراسة التي تم انجازها من قبل الاتحاد العالمي لطب الأطفال سنة 1988 خلصت إلى أن الأطفال يقومون بأعمال غير آمنة كممارستهم للأعمال الميكانيكية والهندسية بالنسبة للذكور، بينما تعمل الإناث في المطاعم ومحلات تصفيف الكوافيرات بمتوسط عدد ساعات العمل 10 ساعات يوميا، وأن منهم من أصيب في العمل مرة أو أكثر من مرة.

كما أنه من خلال نتائج دراسة التي قام بها المشهداني (2009) توصل إلى وجود الكثير من الأمراض الصحية والمهنية التي يتعرض لها الطفل بسبب عمله في ظروف تعرضه لمخاطر صحية شديدة مثل الإصابة بالكثير من الأمراض خاصة في فصل الشتاء كالالتهابات المختلفة بسبب برودة الجو، فضلا عن تعرضهم لأشعة الشمس الحارقة في الصيف والتي تؤدي إلى إصابتهم بأمراض ضربة الشمس والتيفوئيد، إضافة إلى عدم تناولهم الوجبات الرئيسية الغنية بالمواد الضرورية لنمو الجسم؛ مما يعرضهم للإصابات بأمراض سوء التغذية وتأخر نموهم الجسمي والنفسي، إضافة إلى تعرضهم لإصابات خطيرة وكسور (المشهداني، 2009).

وهو الأمر الذي أشار إليه فهمي (2000) كون أن هؤلاء الأطفال يكونون عرضة للكثير من الأمراض بسبب الإرهاق الجسدي نتيجة تواجدهم خارج المنزل ومزاولة العمل لساعات طويلة في البرد والحر، بحيث أن عملهم لا يناسب سنهم ولا بنيتهم الجسدية، إضافة إلى عدم تلقيهم العلاج والمتابعة الصحية اللازمين (فهمي، 2000).

كما أوضح أبو زايد (2010) أنه في الدراسة التي قامت بها فاطمة الدراوي سنة 1993 توصلت إلى ما يسببه عمل الأطفال في سن صغيرة من مخاطر على الصحة تتمثل في أمراض سوء التغذية والأمراض الجلدية والطفيلية والنقص الواضح في النمو الجسمي (أبو زيد، 2010).

من جهتها، أشارت سوالمية (2007) إلى أن بوني (Bonnet, 1998) اعتبر غالبية الفتيات العاملات في خدمة المنازل تعيش ظروف مزرية أقرب إلى الاستعباد بسبب تعرضهن إلى العقوبات الجسدية والاعتداءات الجنسية وعدم احترام ساعات النوم والأكل وانعدام الرعاية الصحية وتعرضهن لحوادث خطيرة.

4-2-3-المخاطر النفسية:

أشار أبو زايد (2010) إلى أن الطفل العامل غالبا ما ينضج على مستوى انفعالاته بشكل غير ثابت، ويكون ميالا إلى الثورة والغضب؛ وهو الأمر الذي يكسبه القيم والعادات والاتجاهات والسلوكيات السلبية (أبو زيد، 2010).

إضافة إلى ذلك، فان الطفل الذي يمارس أعمالا تفوق طاقته وقدراته يرهق جسده بطريقة شديدة، حيث أوضّحت سوالمية (2007) أنه يغلب عليه التعب والإرهاق الذي يؤثر على باقي قواه. وأثرى زوزو وبن عيسى (2016) ذلك مُعتبرين أن مثل هؤلاء الأطفال تزداد متاعبهم بسبب تعرضهم إلى الإساءة الجسدية والجنسية والإهمال.

وأكد فهمي (2000) أن تعرض الأطفال العاملين إلى الاستغلال الجنسي يضعهم في موقف صحي على المستوى البدني والنفسي في غاية الخطورة التي تمتد إلى أنهم يكونون عرضة لواقع يسود فيه العنف وفقدان الثقة بالآخرين ونبذ من قبل المجتمع (فهمي، 2000).

من جهته، قال بوني –نقلا عن سوالمية (2007)- من خلال الدراسة التي قام بها بخصوص الأطفال الذين يعملون في المزابل وصورتهم عن ذواتهم أنهم يشعرون بالدونية:" لا نميّز في العادة بين الطفل الذي يفرز النفايات وبين الأشياء التي يقوم بجمعها".

كما خلصت الدراسة التي قام بها درويش (2002) إلى أن الأطفال العاملين أظهروا درجات عالية من عدم الرضا بسبب انخفاض دخولهم مقارنة بالجهد الذي يبذلونه والعمل الممل والشعور بعدم الأمان.

وبالاعتماد على ما ذكر شرفة سنة 2003، أشارت سوالمية (2007) إلى أن صورة الذات للأطفال العاملين تميزت بالاضطراب والقصور، وتُعبّر عن مظاهر الضعف والاختلال ونقص الكفاءة والثقة بالنفس، لأن احتكاك الطفل المستمر بجو من اللاأمن يؤدي به إلى تطوير سلوكيات منحرفة، فالطفل يجد نفسه بدون مرجع ثابت وبدون حدود ولا نموذج واضح يوجهه حين يشعر

بالإهمال أو الفقدان أو غياب العلاقات الأسرية؛ فيضطر إلى تكوين مفهوم خاص به عن الخطر والأمن مجربا بذلك كل شيء، وعادة ما يقع في الانحراف (سوالمية، 2007).

4-2-4-المخاطر الإجرامية:

غالبا ما يكون الطفل العامل يقضي وقته خارج السياق الأسري؛ وهو الأمر الذي يجعله في الكثير من الأحيان يغيب عن أسرته أو يفر من البيت، ويصبح الهروب من البيت –حسب ما أشارت إليه كركوش (2009)- استيراتيجية يلجأ إليها الطفل كلما واجه مشكلا أو شعر بالضيق في أسرته ليتخلص من الوضعيات المزعجة غير المريحة (كركوش، 2009).

لذلك، قد يكون الشارع مصير هؤلاء الأطفال العاملين بصفة مستمرة، إذ أوضح فهمي (2000) أن هؤلاء الأطفال يتحولون إلى "أطفال الشوارع" الذين يعملون ويقيمون في الشوارع كل أو بعض الوقت دون رعاية من أسرهم. وبتواجدهم في الشارع فترات طويلة فإنهم يقومون في الغالب بأعمال هامشية أو بالتسول أو يجالسون أصدقاء السوء وممارسة أعمال غير قانونية كالمخدرات والسرقات وأعمال الشغب والتخريب..وغيرها (فهمي، 2000).

وأوضّحت سوالمية (2007) أن هذه الوضعية تزداد خطورة إذا عمل الأطفال في التجارة الجنسية كون ذلك يعرضهم إلى أخطار كبيرة. إضافة إلى خطر إصابتهم بالأمراض الخطيرة، فإنهم يتعرضون للتعذيب والضرب من طرف الشواذ الذين يطلقون العنان لاضطراباتهم ومشكلاتهم وهواماتهم الجنسية التي تجعل من أجساد الأطفال المنهكة وسيلة للإشباع، ويتركون الطفل وراءهم تحت تأثير الصدمة حاملا لآثار التعذيب والمعاناة (سوالمية، 2007).

وأضاف فهمي (2000) وجود مخاطر أخرى تتمثل في استغلال العصابات والمجرمين لهؤلاء الأطفال العاملين، بحيث أن استقطاب المجموعات الإجرامية المنظمة تتخذ من هؤلاء الصغار أدوات سهلة ورخيصة لأنشطة غير مشروعة باستخدامهم في ترويج وتوزيع الممنوعات أو أحداث العنف والتخريب، إذ يعتمد هؤلاء المستغلين على العقوبات المطبقة على الأطفال باعتبارهم مازالوا في سن الحداثة (فهمي، 2000).

من جهتها، خلصت سوالمية (2007) إلى أن شعور الطفل بالضعف والخوف والحرمان قد يدفعه إلى الانضمام إلى جماعات الأشرار بسهولة، فيقع فريسة سهلة للانحراف لأنه يبحث عن التعويض والحماية في وسط يتسم بالعدائية والعنف (سوالمية، 2007).

عموما شعر المجتمع الدولي بضرورة التدخل للتصدي لعمالة الأطفال، حيث أشارت كاظم (2007) إلى أن الأنشطة والجهود التي تُبذل من قبل الحكومات والمنظمات الدولية تظل محدودة الأثر وغير قادرة على تحقيق الأهداف المتوخاة في وضع المعالجات اللازمة لهذه المشكلة الآخذة في الاستفحال بسبب تزايد معدلات البطالة والفقر وانهيار الأوضاع المعيشية والاقتصادية (كاظم، 2007).

وهو نفس المنحى الذي اتخذه بوني (Bonnet, 1998)، إذ قال:" أنه لا يمكننا التكهن بإمكانية الحد من ظاهرة عمل الأطفال، فعدد الأطفال في تزايد مستمر في المجتمعات، ويبدو أن هذا العمل أخذ في الذوبان في النسيج الاجتماعي ليأخذ طابع العادي والمألوف" (عن: سوالمية، 2007: 56).

4.الخلاصة

من المؤسف أننا ما نزال نرى أطفالا يكافحون من أجل لقمة عيشهم ونحن في عصر التكنولوجيات التي ارتقت وما تزال تبحث عن فضاءات جديدة لتثبت قدرة الإنسان على الاكتشاف والعلم، إلا أنه في الوقت نفسه لم ترتقي هذه الإنسانية بعد إلى مستوى يعادل هذا الرقي المادي التكنولوجي. فقد انتشرت الكثير من المظاهر المزعجة في حق الأطفال، ولعل ظاهرة عمالة

الأطفال أخذت مساحة كبيرة من الانتشار في كثير من المجتمعات، وهي ظاهرة تزعج القائمين على شؤون تربية النشء من والدين ومسئولين وأخصائيين، وذلك بسبب انعكاساتها الخطيرة على الأسرة والمجتمع على حد السواء.

من هذا المنطلق نسعى إلى تقديم بعض الاقتراحات التي قد يكون لها صدى في التعامل مع ظاهرة عمالة الأطفال، وذلك بالاعتماد على متغيرات كثيرة خاصة وأن هذه الظاهرة تولدت من عوامل متشابكة. من بين ما نقترح ما يلي:

- الاهتمام بالأطفال المتسربين من المدارس على اعتبار أن التسرب من المدرسة يعد من بين النوافذ التي يلج منها الأطفال إلى عالم الشغل في الوقت الذي يفترض أن يكون في مقاعد الدراسة،

- العمل على توعية الأسرة بأهمية تعليم أبنائها وبث فيهم روح القيم النبيلة ومن بينها قيمة العلم والعمل على اكتسابه والمنفعة من تحصيله، وتوعيتها بخطر اندماج أبناءها في حياة الشارع واستغلالهم من قبل جماعات الأشرار،

- تفعيل المناهج الدراسية بما يقضي على الرتابة والروتين والعمل على تنشيط نفسية الطفل من خلال إيقاظ روح الإبداع فيه والاستمتاع بيومه الدراسي بتبني أنشطة تلامس واقعه وتعزز حيويته،

- تفعيل دور الأخصائيين النفسانيين والمدرسيين لمتابعة الأطفال والاهتمام بسيكولوجياتهم وحالتهم النفسية وما قد يعتريهم من مشكلات أو احباطات على مختلف الأصعدة،

- تشجيع الباحثين من مختلف التخصصات للقيام بدراسات معمقة لظاهرة عمالة الأطفال من أجل الوصول إلى فهم علمي لها ومن تم معالجتها بالطرق الموضوعية ذات البعد الشمولي النسقي.

الإحالات و المراجع :

أبو خوات، ماهر جميل. (2005).الحماية الدولية لحقوق الطفل: دار النهضة العربية، مصر.

أبو زايد، أحمد عبد الله. (2010). الرضا عن العمل وعلاقته بالتوافق النفسي للأطفال العاملين في المحافظة الوسطى. *مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)*، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو 2010، 61-96.

أبو موسى، أحمد محمد. (2009). أطفال الشوارع-المشكلة وطرق العلاج- :المكتبة المصرية، المنصورة.

ديبو، أمل. (1999). عمالة الأطفال في بعض دول المنطقة العربية: مكتب العمل الدولي، بيروت.

الأمم المتحدة، برنامج الأغذية العالمي. (2007). تقييم سريع –تحديد أسوأ أشكال عمل الأطفال في بني سويف وأسيوط وسوهاج والبحر الأحمر، مايو

الشافعي، رجب شعبان. (1981). التفكير الابتكاري وعلاقته بمفهوم الذات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية جامعة الزهر، القاهرة.

المجلس الوطني لشؤون الأسرة. (2007). ظاهرة عمالة الأطفال تتنافى في الأردن: عَمان.

المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم. (2002). تسرب التلاميذ-حجم المشكلة في البلاد العربية-: جامعة الدول العربية. القاهرة.

المشهداني، سعد. (2009). تزايد نسبة عمالة الأطفال في العراق، وكالة أنباء شينخوا، بغداد، العراق.

العطاونة، الوحيدي ميسون. (2002).ظاهرة التسول في محافظة غزة، *مجلة الطفولة والتنمية*، العدد6، مجلد 2، المجلس العربي للتنمية والطفولة.

تقرير موجز عن المركز الدولي لنماء الطفل. (1994). أطفال الشوارع والأطفال العاملون، اليونسيف، ايطاليا.

درويش، بسام علي. (2002). الرضا عن العمل ضمانة للصحة والسعادة، جريدة البيان، يوليو، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

كاظم، سميرة عبد الحسين .(2007). عمالة الأطفال في العراق-الأسباب والحلول-، *مجلة البحوث التربوية والنفسية*، العدد 30. 150-192.

كركوش، فتيحة. (2009). المحددات النفسية والاجتماعية لظاهرة الهروب من البيت العائلي-دراسة للأحداث الهاربات المتواجدات بمراكز إعادة التربية-، جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، معهد علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، الموسم الجامعي 2008-2009

سوالمية، فريدة (2007). مساهمة في دراسة العوامل النفسية والاجتماعية لعمل الأطفال-دراسة ميدانية في مدينة قسنطينة-، أطروحة الدكتوراه في علم النفس العيادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة.

عازر، عادل وآخرون. (1991). عمالة الأطفال في مصر، تقرير موجز، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، منظمة الأمم المتحدة، اليونسيف، القاهرة.

عبد العظيم، محمد.(2002). وصف أوضاع الأطفال العاملين في الصناعة-دراسة ميدانية- *مجلة الطفولة والتنمية*، عدد 6، مجلد2، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

عباس، نور الدين محمد. (2001). تشغيل الأطفال وصمة في جبين الحضارات المعاصرة، *مجلة الطفولة والتنمية*، العدد 3، مجلد1، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

فهمي، سيد. (2000). أطفال الشوارع-مأساة حضرية في الألفية الثالثة، ط1: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

فهمي، سيد. (2001). أطفال الشوارع –الأسباب والدوافع:رؤية واقعية- *مجلة الطفولة والتنمية*، عدد 6، مجلد2، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

منظمة العمل العربية. (2013). الندوة القومية حول مكافحة عمل الأطفال واجب وطني وإنساني، عمان، الأردن، 2-4 أفريل 2013.

زوزو، رشيد وبن عيسى، رابح. (2016). عمالة الأطفال في الجزائر-الأسباب، الانعكاسات والحلول-*مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، العدد 21، ديسمبر 2016. 49-71.

يوسف، الياس. (2008). عمل الأطفال-أسبابه،آثاره وسبل الحد منه- *مجلة العمل والمجتمع*، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، المركز الوطني للبحوث والدراسات، العدد الرابع.34-50.

Mehata,M.(1985) : Child Labor, *Child abuse and neglect*, Vol1, pp 107-111.